قصة مؤمن آل يس

كتبه

د/ياسر برهامي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين









الاسكندرية

رقم الإيداع: ٩١٤٧ / ٢٠٠٨



الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٥٠١٣١٥١-٠١٠٢٩٠٨-٠١٢٠١٥

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية - مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٢٧٧١٠٦٠-٠١٠٦٧١٤٣٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم أما بعد :

فإن قضية الدعوة إلى الله ﷻ هي قضية حياة هذه الأمة ، وأفضليتها على سائر الأمم مرتبطة بوجود هذه المسألة فيها ، قال الله ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]، وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]، فعلق الله ﷻ الفلاح على القيام بهذه الفريضة ، وأوجبها ﷻ على المسلمين كأمة ، ولابد أن توجد منهم أمة تدعو إلى الخير حتى يوجد المعروف الواجب ويزول المنكر المحرم ، وإن لم يفعلوا أثم كل قادر بحسب قدرته .

وجعل الله ﷻ الدعوة إلى الله والنهي عن الفساد في الأرض سببًا للنجاة ، وليس سببًا للهلاك ـ كما يظن كثير من الناس في زماننا ـ أن الدعوة إلى الله تجلب الضياع ، قال الله ﷻ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦]، أي هلَّا كان من الأمم من قبلكم أولو بقية استمروا على ما كان عليه الأنبياء ، وبقوا على الحق الذي بُعث به الأنبياء ينهون عن الفساد في الأرض ، وهو الشرك بالله والمعاصي وترك الواجبات

التي أوجبها الله ﷻ ، فالفساد هو تضييع الفرائض ، والفساد هو فعل المحرمات ، وأعظم الفساد تضييع التوحيد وفعل الشرك والدعوة إليه .

قال ﷻ : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي لم يكن ذلك إلَّا قليلًا ، ﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ ، فالله ﷻ جعل النجاة لمن نهى عن الفساد في الأرض .

وهذا يجعلنا نوقن أن قضية الدعوة إلى الله بالنسبة لنا قضية حياة أو موت ، إن الأمة الإسلامية تتعرض في هذه الأوقات إلى محنة عظيمة شديدة ، وأعداؤها انتبهوا إلى أن مصدر قوتها وعزتها في الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأنهم لا طاقة لهم بمواجهة من يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فلابد لهم أن يجتثوا هذا الأمر من أصله ، ولابد أن يغيروا الدين في نفوس الناس ، وهم مقبلون على مرحلة خطيرة ، ونحن أيضًا مقبلون معهم على مرحلة خطيرة ، إن لم يكن هناك التزام صادق بكتاب الله وسنةِ رسوله ﷺ ، وأن لم

توجد دعوة صادقة مستمرة مهما كانت العقبات ومهما كانت الظروف والتضحيات ، ومهما كانت عواقب الأمور ـ فيما يبدو للناس ـ ؛ إن لم توجد هذه الأمور كلها فلا شك أن الخطر عظيم جسيم .

إن أهل النفاق وضعاف الإيمان والذين في قلوبهم مرض يظنون أن المشكلة تُحل ببعض الموافقة ، وتقديم القرابين لأعداء الله ﷻ ، ولو بأذية المسلمين والتضييق عليهم وإنزال أنواع العقوبات بهم ، يظنون أن الأمر تتحقق به بعض المصالح الدنيوية العاجلة ، والحقيقة الأكيدة أن هذه الأمة لا بقاء لها ولا تتحقق لها مصلحة إلا بالتزام دينه ، إلَّا بأن يكون الالتزام هو الصفة الأساسية لعامة المسلمين ، لا تحصُل المصالح ولا تَحصُل الخيرات ، ولا تحل المشكلات بأنواعها المختلفة بموافقة أعداء الله ﷻ ، أو بالتقرب إليهم ، أو بالعمل على إرضائهم على حساب الدين ، ونشر مبادئ الكفر والضلال والنفاق التي يريدونها ، إذ يئسوا من أن يزيلوا اسم الإسلام ،

وييئسوا من أن يترك الناس هذا الدين ، ولو خدت لهم الأخاديد ، وعُلقت لهم المشانق ، ودمروا بأنواع التدمير كلها ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] .

لكنهم لم ييئسوا من تغيير حقيقة الدين في نفوس الكثيرين ، وذلك بأن يعتقد الناس الباطل على أنه الحق ويعتقدوا الحق باطلًا ، فتنشأ أجيال لا تدري حقيقة الإسلام ولا أصوله الكبرى ولا قواعده العظمى .

لذا نقول : إن لنا دورًا كبيرًا ومهمًا وخطيرًا في أن نتعلم هذا الدين وأن نعمل به وندعو إليه مهما كانت التضحيات ومهما كانت العقبات ، ونحن نقتدي في ذلك بمن جعل الله ﷻ لنا من السابقين أسوة صالحة وقدوة حسنة في الدعوة إليه والصبر على ما يصيب الداعي في سبيل الله ﷻ .

ونلتقي في هذه الصفحات مع قصة رجل مؤمن داعٍ إلى الله ، دعا إلى اتباع الأنبياء ، وقتله قومه قتلة شنيعة ، وفعلوا به ما أخبر الله ﷻ بأنه صار به من الشهداء ، إنه :

مؤمن آل يس

هذا الرجل المؤمن الداعي إلى الله ﷻ الذي قُتل ـ فيما يذكر ـ دوسًا بالأقدام ، داسه الناس حتى خرجت أمعاؤه من بطنه ، وذلك لأنه نصح لهم ودعاهم إلى الله ﷻ !! فانتقل إلى الجنان ، وانتقم الله ﷻ من الكافرين الطغاة الذي آذوه وعذبوه ، إنها أسوة حسنة في التضحية والبذل في سبيل الله ﷻ ، لأننا نحتاج إلى أن نعلم أننا سوف نُتَّبع كما قال الله ﷻ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٢] .

فلا تظن ـ يا عبد الله ـ أنك إذا سرت على طريق الهدى والالتزام سوف تُستقبل استقبال الفاتحين ، أو تُفتح لك أبواب المكافآت والخيرات ، بل سوف تُطارد وسوف تُبعد عن هذا الطريق بكل وسيلة ، فلابد إذن أن تُعِدَ للطريق عدته ، وأعظم العدة بعد الإيمان صحبة أهل الخير والصلاح ، وإن لم تجد فيمن حولك منهم فيكفيك أن تصحب أرواحَ من سبق وسيرتَهم الصالحَة ، أن تصحبهم في

سيرتهم الطيبة ، وثباتهم وصبرهم على الحق ، وتضحيتهم في سبيل الله ﷻ ، وهذا الأمر يقتضي منا أن نتدبر كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، وسيرة الصالحين من قبلنا ، لأن صحبتهم على صفحات هذا الكتاب المبارك ، وفي أنوار هذه الأخبار الموثقة تجعل العبد باحثًا عن الحق ثابتًا عليه بإذن الله ، فإذا أضيف إلى ذلك أن يجد بعض العون من إخوانه في الله ، ويجد صحبة صالحة على طاعة الله ﷻ من الدعاة إلى الله ﷻ ، فيكون ذلك من أعظم أسباب الثبات على الدين ، ومن أعظم أسباب البذل والتضحية في سبيل الله ﷻ .

قصة مؤمن آل يس

قال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا

بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا
طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ
مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ
بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ
يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾
وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾
يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾
وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ١٣-٣٢].

يأمر الله نبيه ﷺ أن يضرب لأهل مكة مثلًا أصحاب القرية ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ليتعظوا بهذا المثل ، وكذلك يتعظ كل من أتى بعدهم ممن

يكذب الرسل ويخالف ما جاؤوا به ـ صلوات الله عليهم أجمعين وعلى خاتمهم النبي الكريم ﷺ ـ ، وذلك أن مآل المكذبين دائمًا واحد ، وأن العاقبة للمتقين ، وهذا إذا اتَّعظ به الإنسان سلك سبيل الرسل ، ولو كانت الأمور فيما يبدو للناس أن الغلبة والقوة لأعدائهم ، إذا نظر الإنسان إلى النهايات لم تغره البدايات ، وإذا نظر الإنسان إلى عواقب الأمور لم يغتر بمبدئها وأوائلها التي يهلك فيها كثير من الناس .

﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ونحن نلحظ في طريقة القرآن أن الله ﷻ لم يذكر أين هذه القرية ولا اسمها ، حتى لم يذكر في هذا الموضع أسماء هؤلاء الرسل ، ولم يذكر ﷻ في أي زمن كانوا ، وإن تكلم أهل التفسير في ذلك بأخبار تناقلوها عن أهل الكتاب ، وليس عندهم خبر مرفوع إلى النبي ﷺ في شأن هذه القرية ، وفي شأن الزمن ، وفي شأن أسماء الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ إلى هذه القرية ، ذلك أن الأزمنة والأشخاص لا تفيد كثيرًا .

فلا فائدة كبيرة من معرفة الأسماء والأماكن ، فليس قصص القرآن كقصص الناس الذين يهتمون فيها دائمًا بهذه التفاصيل ، ولا كقصص أهل الكتاب الذين شغلهم الشاغل : كم كان هؤلاء الناس ؟ وماذا كانت أسماؤهم ؟ وأسماء زوجاتهم ؟ ... كما في قصة سفينة نوح ﷺ ، كم كان طولها ؟ كم كان عرضها ؟ أين كان الأسد ؟ وأين كان النمر ؟ وأين كان الهر ؟ وأين كانت الفأرة ؟ وأين كانت الزرافة ؟ في أي الطبقات كانت هذه الحيوانات ؟! .

ونحن حين نوازن بين قصص القرآن وغيره من القصص نعرف كيف أن هذا القصص هو أحسن القصص كما قال ﷻ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف : ٣] ، وأنه يربي أهل الإيمان على معاني الإيمان والإسلام والإحسان ، وعلى الخلق القويم ، وعلى أسس الدعوة إلى الله ﷻ وتعظيم دين الله ﷻ دون النظر إلى الأشخاص .

ولذلك نقول :

علاَّم الغيوب ، يعلم تفاصيل هذه الأشياء قطعًا ، ولكنه ﷻ لم يذكرها ، وذلك لكي تنتبه عقولنا إلى المهم ، والمفيد لنا ، وما العظات التي نستفيدها من هذه القصة وغيرها من قصص القرآن العظيم ؟

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾ هذه الآية ظاهرها ـ هي والتي قبلها ـ أنهم رسل من الله ﷻ ، وهذا خلاف ما ذكره كثير من المفسرين من أن هؤلاء من رسل المسيح ؑ ، وليس في الآيات من قريب أو بعيد ذكر أنهم من رسل المسيح ؑ ، بل الآية ظاهرها أنهم رسل من عند الله ﷻ .

وقد قال النبي ﷺ : « **أنا أولى الناس بعيسى بن مريم إذ ليس بيني وبينه نبي** »(1) .

وقد قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [المائدة : ١٩] ، فظاهر القرآن أن هؤلاء قبل زمن المسيح ؑ ، وليس كما ذكر بعض المفسرين من أنهم بعد زمن المسيح ؑ .

---

(١) رواه مسلم .

فالصحيح أنه ليس بين المسيح وبين النبي ﷺ نبي ، وكان هناك فترة من انقطاع الوحي ـ هي نحوُ السِتِّمائةِ سنة ـ التي بين محمد ﷺ وبين المسيح عليه السلام ، وأتباع المسيح عليه السلام كانوا يُبلّغون عنه كما بلغ الصحابة عن رسول الله ﷺ ، وليسوا رسلًا من عند الله ﷻ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أن الله قد يرسل إلى بعض الأمم أكثر من رسول ، ولذا قال هنا : ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ ، وذلك أن الاجتماع على الطاعة والخير مما تقوى به القلوب ، وتتعزز به النفوس ، وهو ﷻ له الحكمة وله الحمد في أن يرسل رسولًا أو رسولين ، قال الله ﷻ على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه : ٢٩-٣٥] .

وعندما يكون هناك جماعة من الرسل في زمن واحد لابد أن يكون هناك التعاضد والتعزيز والتقوية ، وهذا يرشدنا إلى

ما ينبغي أن نكون عليه نحن إذا أردنا أن نكون من أتباع الرسل فلابد أن يتعزز بعضنا ببعض ، ويتقوى بعضنا ببعض ، ويعاون بعضنا بعضًا ، ولا أن نتفرق فنختلف ونختلف فنتفرق ، ويضعف بعضنا بعضًا ، ويكون النقد الهدام الذي يهدم العمل ولا يفيده .

إن اجتماع المسلمين ـ والدعاة إلى الله ﷻ خصوصًا ـ لهو من أعظم أسباب القوة ، إن التنازع من أعظم أسباب الفشل والخذلان ، قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

والله ﷻ يُحب الذين يُقاتِلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص ، والتقوّي بأهل الحق ليس ضعفًا في إقامته بل هو فَرَحٌ بوجود المعاون على طاعة الله ، قال ﷻ : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة : ٢] .

﴿ فَعَزَّزْنَا ﴾ : قوّينا ، فالله عززهم أي جعلهم أكثر قوة على إقامة الحق ، فإذا وجدت إخوانًا لك على طاعة الله فكن

معهم فبذلك يقوي إيمانك ، وتزداد صلابة بإذن الله ـ تبارك وتعالى ـ ، ولا تبتعد عنهم ، فإن الشيطان ذئب الإنسان ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

وإن من أعظم أسباب ثبات الإنسان على الالتزام وجود أعوان الخير ، وقد ذكرنا ذلك في ا لمقدمة ، ولو لم تجد في محلتك من تتثبت به على الطاعة ، فعليك بمن سبق ، فكيف إذا وجدت ؟ فإذا وجدتم ذلك فتمسكوا به وعضوا عليه بالنواجذ ، وهذا من سعادة الإنسان ، أن يهيئ الله له صاحب سُنَّة في أول طريق نشأته يعينه على الطاعة ، ويرشده إلى طريق الهدى والسداد ، فالرسل يحتاجون إلى أن يعزز بعضهم بعضًا ويُعين بعضهم بعضًا ، وهم معصومون بعصمة الله لهم ، فكيف بنا ؟! فنحن أشد حاجة إلى ذلك .

﴿ **فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا** ﴾ تجد هنا الحقد والحسد الذي عليه هؤلاء الأقوام ينبع ويظهر وراء كلماتهم ، تُكنّه قلوبهم ، ويظهر في

طبيعة كلامهم ﴿ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي تتفضَّلُون علينا ؟! ، ولماذا تزعمون أن الله اختصكم بالرسالة دوننا ؟! ، وهكذا عامة المكذبين للرسل من الكبراء والملأ يحقدون على أهل الحق أن اختصهم الله ﷻ برحمته ومنته ، قالها فرعون ، كما قال الله تعالى في القرآن : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٥١] ، هو يحقد على موسى عليه السلام .

وكذلك كان الحاقدون من قريش : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف : ٣١-٣٢] .

هذا الحسد اعتراض على قسمة الله وعطائه ﷻ ، والحقد دافع شيطاني يؤدي إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ والمجرمون من كل قرية على هذا السبيل يقولون : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣] ، حيث يجعل هدايته عند من يقبلها ويستحقها ، ولذا نجد الفسقة والفجرة والنافقين والكافرين يحسدون المؤمنين على ما منَّ الله عليهم به من الإيمان ، كما قال ﷻ عن اليهود : ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

فالله ﷻ بيَّن أنهم يحسدون أهل الإيمان على الإيمان ، لأنه وإن لم يكن عند أهل الإيمان من أنواع رفاهية الدنيا ما عندهم ، إلاَّ أن عندهم من السعادة والطمأنينة وراحة البال ما يحسدهم الكافرون عليه ، ولكنّ أمرَ الرياسة والوجاهة في الناس هو الذي يشغل قلوب الكافرين .

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ دلَّ ذلك على معرفتهم بوجود الله ﷻ ، ولكنهم كذبوا رسله ، لماذا ؟ لأنهم يحقدون على الرسل ، كما أنَّ

كثيرًا من الفجرة والكفرة بما أمر الله ﷻ به يجعلون معرفتهم بالله ﷻ مجردة عن أن تتحول إلى منهج عملي في حياة الإنسان ، يُريدون أن يعيشوا حياتهم كما يشتهون ، ويقولون : نحن أحباب الله ... نحن أولياء الله ، وهم يأتون الكفر والفواحش ، ويتبعون الضلالات والجهالات والشهوات ، وهم مع ذلك يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ، ينتسبون إلى ربهم زورًا وبهتانًا ، ولذا تجد كثيرًا من الناس لا يقوى على أن يواجه دعوة التوحيد ، فيحاول أن يكذب الدعاة أنفسهم ، وأن يتبرأ منهم أنفسهم ، وإن عجز أن يتبرأ من دعوتهم ، ويطعن فيما جاؤوا به من عند الله .

ولذلك كان مثل أبي جهل الذي يقول في يوم بدر : اللهم من كان أقطعنا للرحم ، وأتانا بما لا نعرف فأَحِنْه الغداةَ . يدعو على من ؟! ، يظن نفسه يدعو على النبي ﷺ ، أبو جهل يستفتح ربه ، كما قال ﷻ : ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ** ﴾ [الأنفال : ١٩] ،إذن الكفار يستفتحون ، كالكفرة الذين يقولون : سوف ينتصر الحق وسوف يزهق الباطل .

وما الباطل عندهم ؟ الالتزام بدين الله ﷻ ، وما الحق ؟ خزعبلاتهم وخرافاتهم وشهواتهم الحقيرة الدنيئة ، وكل ناظر في أسلوب حياة المجرمين أعداء الله ﷻ يقطع بأنهم لا يدينون بدين ، ولا يتبعون لا موسى ولا عيسى عليهما السلام ، ولا يتبعون نبيًّا من الأنبياء ، ولا يلتزمون بتوراة ولا إنجيل في أي جزئية من جزئيات حياتهم ، لا في العقيدة ولا في غيرها ، ومع ذلك يقولون : إن الحق سوف ينتصر ، ولذلك لا تتعجب فهذه سنة ماضية .

الكفرة عبر العصور يتهمون الرسل بأنهم ما جاؤوا بشيء من عند الله ، وأن الله ما أنزل شيئًا ، يُريدون معرفة وجود الله دون التزام دين ومنهج ودون التزام حلال وحرام وعبادة ، إذًا كيف يترك الله ﷻ عباده سدى وهملًا ؟! .

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ ﴾ ، كيف يكون هو الرحمن ويترك خلقه بلا رحمة ؟ أيرحمهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم ولا يرحمهم فيما هو أعظم ، وما هو أشد وهو سبب راحتهم وسعادتهم ، وهو رحمتهم بدينه ﷻ وعبادته بإتيان الحلال

واجتناب الحرام وبأداء الفرائض التي يشرعها لتحيا بها القلوب ؟ كيف يرحمهم بحياة أبدانهم ولا يرحمهم بحياة قلوبهم ؟ كيف لا ينزل شيئًا ؟!كيف تكون حياة البشر بعيدة عن أوامره ونواهيه ؟! .

هكذا يريد أهل العلمانية وغيرها من المناهج الأرضية في المشارق والمغارب ، وهكذا يريد أهل الكتاب الذين لا يريدون إلَّا أن يقروا بأشياء مجرد إقرارات لا تتغير بها صفة الحياة ، يشربون الخمر كما يشتهون ، يزنون كما يشتهون ، يقتتلون على المال كما يشتهون ، يُسخرون الناس بالظلم والعوان كما يشتهون ، وفي نفس الوقت يقولون ما أنزل الرحمن من شيء ، هذا ليس بإيمان ، فالإيمان بوجود الله لا يغني عن صاحبه شيئًا إن لم يتبع رسل الله ، وإن لم يلتزم بشرعه ﷻ .

وبجرأة عظيمة يقولون : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ، فماذا كان جواب الرسل ؟ ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ .

وعِلْم الله ﷻ أنهم إليهم مرسلون يتحقق في واقع الحياة ، وإلاَّ لما كان في هذا الكلام حجة ، بمعنى أن الله يظهر من آيات صدق

رسله ، ومن علامات صحة ما جاؤوا به من الدين ما يوقن به كل أحد بأن ما جاؤوا به هو الحق ، كما قال الله ﷻ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

فعلم الله ﷻ أن الرسل رسل بتأييدهم وإعانتهم وتقويتهم بقوةٍ ومدد من عنده لا يستطيعه الناس ولا يقدرون عليه ، ويعزيهم ﷻ ويجعل العاقبة لهم .

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ليس علينا إلَّا أن نبلغ الحق ، إذن وظيفة الرسل ـ وكذا من ورث الرسل من العلماء والدعاة إلى الله ﷻ ـ البلاغ المبين ، ليس وظيفتهم أن يؤمن الناس ، إذ ليس في قدرة أحد أن يخلق الإيمان في قلبه ولا في قلب غيره ، الله الذي يجعل الإيمان في قلوب المؤمنين ، ويمن عليهم بهدايته ﷻ ، ولكن على الرسل البلاغ المبين ، البلاغ الواضح البيِّن الذي لا لبس فيه ، لا تلتبس فيه الأمور ، وهذا من أعظم الأمور أهمية في وقتنا وفي كل وقت أن يكون البلاغ بينًا واضحًا جليًا .

إنَّ لَبس الحق بالباطل هو أعظم أسباب الانحراف عن دعوة الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ إن الباطل مُرٌّ لا تقبله النفوس بطبيعتها وفطرتها ، لا تقبله إلاَّ بشيء حلو لابد من وجود شيء تقبل النفوس معه الباطل ، لابد من شيء من الحق ، فيغلف ذلك المر بغلاف من السكر الحلو ، فهذا الحلو هو الموافقة في بعض الحق ، لكن في داخله المخالفة ، ولذلك لا يقبل في الدعوة إلى الله أن يقال جزء من الحق يوافق أهواء أهل الباطل ، بل لابد أن يكون الحق واضحًا جليًا ... أن يكون البلاغ مبينًا .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ ﴾ تشاءمنا بكم ، أنتم سبب المشاكل ، أنتم سبب الفقر ، أنتم سبب السيئات التي تصيبنا والمحن التي تصيبنا ، مع أن الشر من عندهم ، لكنها سبيل ماضية في كل زمن عندما تحدث نكبات ومصائب على الناس يقولون : هؤلاء سبب الوباء ، وسبب المصائب والمحن ، ونحن عندنا كل خير .

كما قال ﷻ عن قوم فرعون : ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، يعني : بتخطيطنا وبتوجيهات فرعون وإرشاداته وأوامره المباركة ، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ ﴾ ، أي : الشر الذي وقع لنا بسبب دعوتكم ، وهذا من أعظم الجهل .

﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ ﴾ انتقلوا إلى طور آخر ، يبدو أن محاولات التشكيك في الدعوة إلى الله ﷻ وفي الدعاة لم تفلح ، وأن الدعوة أصبحت تكتسب أنصارًا جددًا ، فكان لابد من أسلوب آخر بعد التشكيك وبعد إلقاء التُّهم الباطلة ، وبعد محاولة جعل الرسل هم السبب في مشاكل الناس .

والمقصود بالمشكلات طبعًا عدم الرخاء ، وعدم وجود الأموال أو عدم وجود الثمار ، أو نحو ذلك فيزعمون أن السبب هو دعوة الرسل ، فيبدو أن هذه الحجج لم تفلح ، فلجؤوا إلى أسلوب التهديد والوعيد .

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ ، وقد فسرت لنشتمنكم وليس بظاهر ، الظاهر أنهم يرجمونهم بالحجارة إذ إنهم قد شتموهم بالفعل حين قالوا : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ ، ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أنتم سبب الشر والسوء ، فهذا من الشتم ، فالذي يظهر أنهم عزموا وهددوا بارتكاب جرم أشد وهو أذية الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ، قالوا : ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وهذا هو أسلوب التهديد ، كما قال فرعون لموسى في ما حكاه الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٩] .

وكما قال أعداء الرسل للرسل ، قال ﷻ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٣-١٤] ، فهناك دائمًا هذا التهديد الذي يجابهه الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ بالصبر والثبات والمزيد من الدعوة إلى الله ، لا يجعلهم

يتأخرون أو يتخاذلون عن إقامة الدعوة إلى دين الله ﷻ .

﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ جابهت الرسل هذه الشبهات ﴿ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ ، الشر الذي يصيبكم ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ من عندكم ومن أعمالكم ، ما يصيبكم من مصائب فبسبب ذنوبكم .

وقال الله ﷻ في آية أخرى : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال أيضًا : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، وقال ﷻ : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم : ٣٦] .

فالله ﷻ حَكَمٌ عدل ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] ، أي بسبب نفسك أيها الإنسان ، فالإنسان عمومًا ما يصيبه من سوء فهو بسبب ذنوبه وإن كان من الله ﷻ خلقًا وإيجادًا ، كما قال الله ﷻ : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] .

هذا حال ضعاف الإيمان والمنافقين ، إن يصبهم قحط مثلًا وتلد امرأة أحدهم الإناث ، ولا تنتج دابته يقول : بشؤم هذا الدين وبشؤم اتباع محمد ﷺ .

قال ﷻ : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] الحسنة والسيئة من الله خلقًا وإيجادًا هو الذي أوجد الحسنات والسيئات ، ولكن الحسنات محض فضله ، والسيئات عدله ، ما يصيب الناس من السيئات ومن المصائب والمحن والبلايا والغلاء والوباء والمشاكل المختلفة إنما هو من عدله ﷻ : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ خلقًا وإيجادًا ، ثم قال : ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أنت الذي اكتسبت أسبابها ، فبسبب الذنوب يكتسب الإنسان ما يجلب عليه السيئات والبلايا والمحن .

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ ، وفي الآية الأخرى عن قوم فرعون : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ١٣١] ، ولا تعارض ، لأن قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ، أي ما

أصابهم من الشر والسوء من عند الله خلقًا وإيجادًا ، فهي مثل قوله : ﴿ طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ، أي هو الذي قدَّر ذلك ، وأما قوله : ﴿ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ ، مثل ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ ، بمعنى أنت الذي اكتسبتها ، وأنت الذي تسببت فيها ، والسيئة هنا كما ذكرنا بمعنى القحط والبلاء والوباء ، فهي من الإنسان تسببًا .

قال الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] ، فالذي يصيبنا هو بسبب ذنوبنا .

﴿ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أَلِأَجْلِ أنكم ذُكِّرْتم تتهموننا بهذه التُّهم ، وتقولون هذا الكلام ؟! وتقولون : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أَلأجْل أننا ذكرناكم تهددوننا ؟! أَلِأَجْلِ وجود الدعوة إلى الله والنصح تريدون أن تصيبونا بأنواع الأذى ؟! ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ الجواب محذوف مفهوم من السياق تقديره ما ذكرنا .

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ فهم أسرفوا على أنفسهم بمخالفة شرع الله ﷻ ، وليس الأمر أنه مناقشات أو بحث عن أسباب المصائب ، أو مجرد بحث عن الحجج ، وإنما هو الإسراف على الأنفس هو الذي أدَّى إلى وجود الحسد والحقد ، الذي أثمر الكفر والتكذيب بما جاء به الرسل .

قال ﷻ : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ ، آمن هذا الرجل بالمرسلين وأتى يدعو إلى الله ... جاء من أقصى المدينة ، إذن تحمل المشاق في الدعوة إلى الله ﷻ ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ، يدل على أنه كان بعيد المسافة ، ولكن جاء يدعو إلى الله ، فالدعوة إلى الله ﷻ يجب أن تأتي إلى الناس ، ويجب أن يكون الدعاة إلى الله ﷻ هم الذين يسعون حتى يبلغوا دعوة الحق ، ولا ينتظرون كي يأتي الناس إليهم ، نَعَمْ العلمُ يُؤْتَى ولا يَأْتي ، هذا إذا كان هناك طلب علم ، فينبغي أن يعلم طالب العلم أنه الذي يأتي .

أما قضية الدعوة إلى الله فأعمّ من طلب العلم ، والنصيحة

التي كان عليها الرسل ودعاة الخير لأقوامهم نصيحة عظيمة جعلتهم ينتقلون في الدعوة إلى الله ، وأصحاب النبي ﷺ انتقلوا في البلاد وهاجروا وتركوا بلادهم ، وتركوا المدينة بعد ذلك لكي يبلغوا دعوة الله إلى الناس ورأوا أن ذلك من الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وهذا أمر عظيم الأهمية ألا ينتظر الداعي إلى الله الناس حتى يأتوا إليه ، بل ينبغي أن يسعى هو إليهم ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

ووصفه بالرجولة يدل على جده واهتمامه وقيامه بالأمر ، وكذلك قوله ﷻ : ﴿ يَسْعَىٰ ﴾ ، وقد ورد مثل هذا في موضعين من القرآن ، وكل منهم فيه تقديم وتأخير عن الآخر ففي قصة موسى عليه السلام قال ﷻ : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٠] .

وقدم الرجولة في قصة موسى عليه السلام ، وقدم « من أقصى المدينة » ـ قدَّم البُعْد ـ في قصة مؤمن آل يس ، وذلك أن

الخطر كان في قصة موسى كبيرًا جدًا ، فهو خطر تهديد بالقتل ، ولا شك أن معرفة آل فرعون بمن أبلغ موسى بهذه الخطة الماكرة تقتضي نوعًا من البطش والتنكيل الشديد ، ولذلك احتاج الموقف إلى رجولة عظيمة ، ومن أقصى المدينة تالية ، لأنه تحمل بُعد المسافة ومشقَّة الانتقال ، أما هنا لم يكن الأمر قد وصل إلى مثل هذه الشدة ، وكان بُعد المسافة هو المقدَّم في هذا الموطن ، لكي يظهر لنا الجهد الذي بذله الرجل من أجل أن يبلغ دعوة الحق .

ويذكر أنه كان حائكًا ، أي لم يكن ذا وظيفة مشهورة ، ويذكر أنه كان أعمى ـ فالله أعلم هل كان كذلك أم لا ـ لم يذكر ذلك في القرآن ولا في السنة ، لم يذكر إلا أنه رجل ، والرجولة ليست ذكورة فقط ، ولكنها صفاتُ تحمُّلٍ وتضحية واهتمام بالأمر وسعيٍ في الحق وتحمل لمسئولية الدعوة إلى الله ﷻ ، وأن يستشعر الإنسان أنه لابد أن يحمل همَّ الدعوة إلى الله ﷻ ، وأن يسعى إلى أن يتبع الناسُ الرسلَ ، وأن يعبدَ الناسُ ربَّهم ،

وينتقل في الأماكن المختلفة ، لكي يبشر بهذا الأمر العظيم .

﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، لابد وأن يكون كل واحد منَّا يسعى في الدعوة إلى الله ﷻ وأن يجتهد في إقامة الحق ، ويسعى في أن يتبع الناس الرسل ، فالاتباع أعظم قضية يدعو إليها أتْبَاع الرسل ، والاتباع في التوحيد هو أعظم الاتباع ، وهو أعظم ما يُتّبع فيه الرسل .

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ ، يرغّبهم في اتباع من لا يسألهم أجرًا ، وهذا إيقاظ للفطرة الإنسانية في أن من لا يأخذ أجرًا على النصيحة هو الذي ينبغي أن يُتّبع ، وهذا أمر يستغله كثيرًا أعداء الله ﷻ والزنادقةُ والذين يريدون الدنيا ، فتجد جماعات التنصير تسعى في بغيتها من خلال العمل التطوعي المجاني ، وتجد أهل الدجل والشعوذة مثلًا يريدون خداع الناس بأنواع من شعوذتهم وتعاملهم مع الجن .

يقول الناس : فلان لا يأخذ أجرة وإن كان يعمل السحر ويستعين بالجن مثلًا ، فيقولون : فلان هذا أحسن ، لأنه لا يأخذ

مالًا ، الناس يظنون ذلك ، لأن هناك فطرة في الإنسان : أن الذي يأخذ مالًا لا يصلح أن يُتَّبَعَ ، ولذلك على الدعاة إلى الله ﷻ أن يحرروا أنفسهم من سلطان أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله ﷻ .

فعلى الداعي أن لا يجعل عليه سلطانًا وحجة ، والذي يأخذ الأجرة على الدعوة إلى الله ﷻ غالبًا محكوم بمن يعطيه له ويدفع له ، فالأصل أن تكون الدعوة إلى الله وتعليم العلم كما جاءت به الرسل مجانًا ، وكما جاء في الأثر الإسرائيلي : « **يا ابن آدم عَلِّمْ مجانًا كما عُلِّمْتَ مجانًا** » .

فهل أخذ أحد من الرسل أموالًا على ما جاؤوا به ؟! ما تكسبوا بالدين ، ما جعلوا تعليم الناس دين الله ﷻ بأجرة .

وهذا الأمر في العلم الواجب ، فلا شك أنه إذا تعين على الإنسان أن يُعلِّم العلم الواجب ؛ لم يجز له أن يأخذ أجرة ، ولا أن يأخذ أجرة على العبادات ، كأن يأخذ أجرة على الصلاة أو على الخطبة مثلًا ونحو ذلك ، أقصى ما يمكن في ذلك أن يأخذ جُعْلًا من بيت المال إذا كان لا تقوم مصلحة إلا

بالتفرغ لذلك ، وليس على سبيل الإجاره ، ولذلك كره الإمام أحمد أن يشارط على تعليم القرآن .

وإن كان الصحيح في المسألة أن تعليم القرآن ـ غير فاتحة الكتاب ـ ليس من فروض الأعيان ، ولذا جاز أخذ الأجرة عليه ـ والله أعلم ـ ، إذ قال النبي ﷺ : « **إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتابُ الله** » (١) ، ولكن العلوم الواجبة لا يُؤخذ عليها أجر ـ والله أعلم ـ .

ثم تابع الرجل دعوته فقال لهم : ﴿ **ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا** ﴾ ، ثم ذكر الله ﷻ الصفة الثانية للرسل فقال : ﴿ **وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ ، ليس فقط لأنه لا يأخذ أجرًا فهذه إحدى الصفات المرغبة في اتباعهم ، والثاني لأنهم مهتدون ، فهم أتوا بالهداية وهم في أنفسهم مهتدون ، وهم ملتزمون فعليًا ، وهذا من أعظم أسباب قبول الدعوة أن يكون الشخص نفسه مهتديًا ، أن يكون الداعي إلى الله ملتزمًا بما يقول .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٧) .

كثير من الناس قد يدعو إلى الله ولكنه هو في نفسه لا يلتزم بما يدعو إليه هو نفسه إذا دخلت بيته ورأيت سلوكه وأعماله وجدته على خلاف ما يقول ، فهذا دعوته لا تثمر شيئًا ، دعوته لا تُؤثر في قلوب الناس ، لذلك اعلم أيها الداعي إلى الله أن عملك هو الداعي قبل دعوتك ، وأن سلوكك هو الذي يرَغِّب الناس في دعوتك .

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ، لذلك نقول : إن عدم أخذ الأجرة لابد أن ننظر معه بعد ذلك إلى السلوك والعمل ، وما جاء به ، وما يقوله وما يفعله ، فلو أن إنسانًا ضالًّا لا يأخذ أجرة فلا ينبغي أن تقول : فلان لا يأخذ أجرة فهو رجل صالح ، بل لابد أن ننظر إلى هدايته ، لذلك إذا وجدت إنسانًا ممن يعمل السحر مثلًا وكان لا يأخذ أجرة ولم يكن هو مهتديًا ، أو كان أهله مضيعين للحجاب ، أو وجدت المنكرات في بيته ، أو كان مرتكبًا للمحرمات ، كأكل المال بالباطل ؛ فهذا من علامات الانحراف والضياع ، ومن علامات ضلاله ، ولذلك

لا يكتفى بكونه لا يأخذ أجرة ، بل لابد من الأمرين معًا كما قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى عنه : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، الاستدلال بتوحيد الربوبية ﴿ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ، على توحيد الألوهية ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ﴾ ، يعني أي شيء يمنعني من أن أعبد الذي فطرني ؟! .

أنواع التوحيد والإيمان باليوم الآخر هذه هي الركائز الأساسية في الدعوة إلى الله ، والقواعد التي لابد أن تُبلَّغ في الدعوة إلى الله : أن الله الذي فطرنا أي خلقنا على غير مثال سابق ، وهو وحده الذي يستحق أن يعبد ، لأنه إلهنا ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، وهذا هو الإيمان باليوم الآخر .

فدعوة الرسل منصبَّة على ذلك ، فإذا سئلنا إلامَ ندعو الناس ؟! فنحن ندعوهم إلى الله ربنا هو الذي خلق ، وهو الذي رزق ،وهو الذي يأمر وينهى ، وهو الذي يملك كل شيء ، وهو وحده الذي يملك الضر والنفع والموت والحياة ، وهو وحده الذي له حق التشريع .

وهذا الإقرار بالربوبية يترتب عليه ويُبنى عليه ألَّا نعبد سواه ، ألا نركع لسواه ، ألا نسجد لسواه ، ألا ندعو سواه ، ألا نخاف من سواه ، ألا نرجو سواه ، ألا نحب سواه وألا نحب إلا من أحب ﷻ وأمرنا بحبه ، ألا نتوكل إلا عليه ، ألا نرغب إلا فيما عنده ، أن لا نذبح ولا ننذر ولا ندعو ولا نستغيث ولا نستعيذ إلا به سبحانه ، أن نصرف كل عبادة له وحده لا شريك له ، وهذا هو توحيد الألوهية .

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، فالإيمان باليوم الآخر قرين الإيمان بالله ، قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، التذكير بالرجوع إلى الله ﷻ يجعل العبد يستعد لهذا الموقف العظيم ويتذكر نهاية هذه الحياة بآلامها وأفراحها ، فلا شك أن الإنسان يجد في الحياة أنواعًا من الألم ، وسوف تنتهي ، يجد أنواعًا من الأفراح ، وسوف تنتهي ، السرور والحزن في الدنيا سوف يزول ، ألا فاعمل لآخرتك ، اعمل ليوم رجوعك إلى الله ﷻ .

قال تعالى عنه : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس :٢٣-٢٤] ، تلطف عظيم في هدم الباطل ، فالحق لا يقوم بذكر الحق فقط ، بل لابد أن يهدم الباطل ويتبرأ منه ، ولا يقولن أحد : ندعو الناس إلى الحق ولا دخل لنا بالباطل - كاتجاهات كثيرة - .

وأتذكر بعض الدعاة يومًا وقد حدث بيننا حوار أنه كان يقول : لا تقولوا للناس لا تطوفوا بالقبور ، دعوهم ، ولكن إذا دخلت أنت مسجدًا به قبر والناس يطوفون ، فاذهب أنت بعيدًا ولا تطف به وسوف يترك الناس الطواف !! .

وهذا كلام باطل ، إذ لابد أن نهدم الباطل ، ولا يكفي أن يترك الناس ذلك لأن الشيخ يتركه ، لأنهم تعودوا أن الشيخ يفعل فسوف نفعل ، لا بل لابد أن يهدم الباطل ، أهل الباطل يريدون أن نسكت عن باطلهم وألا نذكره بالسوء ، ولكن الحق لابد أن يُقام على أنقاض الباطل ، فـ« **لا إله إلا الله** » تبدأ بالنفي قبل الإثبات « **لا إله** » هدم للباطل ، و « **إلا الله** » إثبات للحق ،

فلا نقول « **الله إله** » لكن نقول : « **لا إله إلا الله** » لماذا ؟ لأنه إن قيل « **الله إله** » فالنصارى يقولون : « المسيح إله » ، واليهود يقولون : « عُزير إله » ، والكافرون الآخرون يقولون : « بوذا إله » ، ونحن نقول : « **الله إله** » فهل تكفي ؟! لا تكفي ، بل لابد أن نقول : « **لا إله إلا الله** » .

قال الله ﷻ : ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون : ١-٦] ، والآيات فيها إثبات أننا نعبد الله لكنهم لا يعبدون إلهنا طالما أشركوا بالله ، ونحن لا نعبد إلههم ، وما الذي جعل المشركين يغضبون على النبي ﷺ ويحاربون دعوته ؟ قالوا : ﴿ **أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص : ٥] .

فإذا قلنا : « **الله إله** » فهم أيضًا يقولون : « **الله إله** » ، وهم لم يخالفوا في هذه ، لكن قالوا : سب آلهتنا ، وكيف كان السب ؟ هل الرسول ﷺ كان يشتم ؟! لا ... إنما كان السب أنه قال :

إنها ليست آلهة ، قال : إنها باطلة ، قال : إنها أوثان ، أنداد من دون الله ، سماها بهذه الأسماء ، وإلا فالله ﷻ لم يذكر شتائم كالتي تعوَّد الناس عليها في شتائمهم ، وإنما قال : إنها ليست آلهة فهذا هو السبب .

فهذا عندهم هو نقطة الاختلاف مع النبي ﷺ ، فالبراءة من الشرك قضية عظيمة الأهمية لابد أن تكون واضحة لدى الدعاة إلى الله ﷻ ، فهذا الرجل الداعية يقول : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ أُنظرْ إلى التلطف في الأسلوب ، لم يقل « اتخذتم أنتم » ، لأن الكلام للغير قد يجعله ينفر ، فقال : ﴿ أَأَتَّخِذُ ﴾ يتكلم عن نفسه : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

﴿ إِنِّىٓ إِذًا ﴾ هو يريد أن يقول لهم : أنتم في الحقيقة الذين اتخذتم وأنتم الذين في ضلال مبين ، وأحيانًا يحتاج إلى التصريح أكثر من ذلك ، كما قال إبراهيم لأبيه وقومه : ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦] .

وقال ﷻ عن إبراهيم في قوله لأبيه : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] ، فأحيانًا يُحتاج إلى التصريح إذا كان لا يكفي أن يقول عن نفسه ، ولكن هذا تلطف وبداية .

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس : ٢٣] ، إذًا هذه الشفاعة شفاعة باطلة تلك التي يدعيها المشركون في أوثانهم وفي أوليائهم التي يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ﷻ .

ولذلك فمن يصرف العبادة لغير الله فقد اتخذه إلهًا من دون الله سواء سماهم آلهة ، أو عاملهم معاملة الآلهة ـ والعياذ بالله ـ بأن صرف لهم العبادات ، فذبح لهم ، أو نذر لهم ، أو طاف بقبورهم ، وفعل لهم ما لا يجوز أن يفعله إلا لله فإنه قد اتخذهم آلهة ، وإن زعم أنها تشفع له عند الله فلا تُغن عنه شفاعتهم شيئًا ولا ينقذوه .

قال الله ﷻ عن هذا المؤمن : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ ، قيل : إن هذا الخطاب للرسل وهو أنه يُعلن

إيمانه ، فهو كان مؤمنًا بهم ، ولكن يُخاطب الرسل لكي يشجع الناس كي يسلكوا سبيلهم ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ ، أي اشهدوا لي بأني قد آمنت ، والقول الثاني : إنه خطاب لقومه ، وهذا أقرب ـ والله أعلم ـ لأنه في سياق واحد ، فالمعنى إني آمنت بربكم أيها الناس المدعوون ، ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ استجيبوا لي ، فسمع هنا بمعنى استجاب ، مثل « سمع الله لمن حمده » أي استجاب الله لمن شكره ، ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أي اقبلوا قولي واقبلوا نصيحتي .

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، لم يذكر مصيره ، لكن السياق مفهوم ... ذكروا أنهم قاموا عليه قومة واحدة ، فوطئوه وداسوه بأقدامهم ، وانظر إلى الحقد الفظيع ، داسوا عليه بأقدامهم حتى خرجت أمعاؤه ، مات شهيدًا في سبيل الله ﷺ ، لأنه دعا إلى الحق وقال كلمة الحق ، وشدة الغيظ دفعتهم إلى قتله ، والقرآن يُثبت أنه قُتل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ، مع أنه لم يذكر أنهم قتلوا الرسل ، لأنهم ربما كانوا خائفين منهم ، لكنهم قتلوا

هذا الداعي إلى الله ﷻ ، وأنزل الله ﷻ عليهم العذاب لأجله ، فالله ﷻ ينتقم لأوليائه كما ينتقم لرسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ .

إن قتل أولياء الله ﷻ ليس أمرًا هينًا ، قتل المؤمنين الدعاة إلى الله ليس أمرًا هينًا ... وأذيتهم وتعذيبهم ليس أمرًا هينًا ...

ولكن كيف كان مصيره ؟ هذا الاختصار في بيان ما أصابه رغم وجود الإشارة على ما حدث له ، ما الحكمة ، وما الفائدة فيه ؟ الحكمة والفائدة هي بيان سرعة انتقاله ، إذ لم ينل من العذاب شيئًا ! إذًا لماذا يخاف الناس من الدعوة ومن العذاب ومن الفتنة التي تصيب هذا الإنسان ، ويقولون سوف يعذب ... سوف يهان ... سوف يحدث ويحدث .

قال تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، بسرعة شديدة ، مباشرة بعد ما قال كلمة ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، دخل الجنة وهو في البرزخ ، لأن « الشهيد في سبيل الله ﷻ لا يجد من ألم الموت إلا كمسِّ القرصة » ، كما

ذكر العلماء في قصة أصحاب الأخدود أنهم عندما ألقوهم في النار ، قبض الله أرواحهم قبل أن تصل أبدانهم إلى النار ، فالأرواح ماتت وألقيت أجسادًا لا روح فيها ، فلم يعذبوا ، بل ذهبوا شهداء أحياء عند الله ﷻ ، والشهداء أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت .

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ، فكان ناصحًا في آخرته كما كان ناصحًا في دنياه ، هكذا لا تجد المؤمن إلا ناصحًا ، لم يقل : ينتقم الله منهم بما فعلوه بنا ، ولكن ماذا كان يتمنى حينما دخل الجنة ؟ .

﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ ، يا ليتهم يعلمون ، كي يدخلوا هم الجنة أيضًا ، فسبحان الله انظر إلى هذا الكم من النصيحة ومن سماحة الصدر رغم قتله هذه القتلة الفظيعة ، ومع ذلك يتمنى أنهم يعلمون .

﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ، أملُه أن يؤمنَ الناس ، ولا يفكرُ فيما حدث له ، وليس هدفه الانتقام الشخصي ، وهذه نقطة عظيمة في نفس الداعي إلى الله ، ليس غرضه الانتقام لنفسه .

والله ﷻ يُحب من عباده أن يكونوا ناصحين لعباده جميعًا ، محبين للخير لهم ، وانظر إلى إبراهيم عليه السلام وهو يجادل عن قوم لوط ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٤] ، بماذا ذكره الله ﷻ ؟ وبماذا وصفه ؟

قال ﷻ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] ، أي أن الله ﷻ أحب الصفة التي اقتضت مجادلة إبراهيم في أول الأمر حتى جاء أمر الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾ [هود : ٧٦] .

لكن الله ﷻ يُحب من عباده أن يكونوا مشفقين ، ولذلك اختار الله ﷻ لنبيه ﷺ ألا يدعو على الذين قتلوا أصحابه وشجوه في وجهه ، واختار له أن يترك الدعاء عليهم ، فربما تاب الله ﷻ عليهم ، ولذا عندما قال النبي ﷺ : « **كيف يُفلحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهم وكَسَروا رَبَاَعِيتَه** » ، فأنزل الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ظل النبي ﷺ شهرًا يدعو على بعض المشركين الذين آذوا أصحابه ، وكانوا رؤوس الكفر ، ثم ترك ذلك لما نزلت الآية وتاب الله على من

سماهم ـ سهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وغيرهم ـ ممن كان شديد الأذى للمسلمين ، فقد أسلموا وهداهم الله ﷻ .

ولما خير الله ﷻ النبي ﷺ على يد ملك الجبال إن شاء أن يطبق عليهم الأخشبين أو يستأني قال : « **بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا** » [1] .

وقد كان فعلًا منهم هم ومن أصلابهم أجيال تلو أجيال يعبدون الله ﷻ لا يشركون به شيئًا مصداق ما أراده النبي ﷺ في دعوته إلى الله .

وعلى هذا فالمؤمن ناصح ، ومحب للخير ، يريد أن يهتدي الناس ، وأن يجدوا الراحة التي وجدها ، فقد كان مستريحًا في الدنيا ، وهو مستريح في البرزخ ، ويستريح يوم القيامة ، وروحه الآن في الجنة تتنعم مع أرواح الشهداء ، ومع أرواح المؤمنين وهي في الجنة كذلك .

(١) رواه البخاري (٣٢٣١) ، مسلم (١٧٩٥) .

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ ، هذا هو الإكرام ، أرادوا إهانته بالدوس بالأقدام فأكرمه الله ﷻ ، ولذلك لن تهان يا عبد الله المؤمنَ ، لن تهان وإن أهانك الناس ، أنت من المكرمين وإن كان فيما يبدو للناس أنك أُهنت ، لا والله ، إن الإهانة أن تعبد غير الله ، إن الإهانة ألا يكرمك الله بمحبته وعبادته ﷻ .

قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، هم أضعف من أن يحتاجوا إلى جند كثيرة ، والله له جنود لا يُحصيها غيره ﷻ ، وجنود الله أكثر عددًا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ [الجن : ٢٤] ، جنود ربك كثيرة جدًا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] ، لكن الأمر أهون من ذلك ، فأمر الكفرة لا يحتاج إلى جنود .

﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ، لم يكن الأمر يحتاج إلى إنزال ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ ، صاح بهم ملك من ملائكة الله ـ يُذكر أنه جبريل ؑ ـ صاح صيحة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ .

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ ، أي حسرة تحسروها على أنفسهم عندما ماتوا على الكفر ، لكنها حسرةٌ لا تنفع ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ ، أي يا حسرة العباد على أنفسهم ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ .

إذًا لا يجعلك استهزاء الناسِ بك من أجل التزامك وطاعتك تنصرف عن الالتزام ،فكل الرسل تعرضوا لهذا ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [يس : ٣٠] .

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴾ ، لم يتعظوا بالقرون السابقة التي ذهبت ولم ترجع ، والله ﷻ يجمع الجميع يوم القيامة للحساب والسؤال .

نسأل الله ﷻ أن يُخَفِّف عنا يوم القيامة ، وأن يهونه علينا ، وأن يجعلنا من عباده المخلَصين ، وأن يوفقنا للدعوة إليه على بصيرة ، وأن يجعلنا من عباده المخلِصين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين